



تاريخ

ذ. عبدالإله الشخي

النائب الإقليمي لقدماء المقاومين  
و أعضاء جيش التحرير بالحسيمة



## قبائل صنهاجة السراير: قلاع الجهاد و الممانعة

استهلال:

نتوخى من خلال هذا المقال تسليط الضوء على فترات مشرقة من تاريخ الكفاح بقبائل صنهاجة السراير و انخراطها في عمليات الجهاد ضد المستعمر و صد أطماعه التوسعية، و ملامسة مدى تفاعل هذه القبائل مع دعوات القبائل الأخرى المعرضة لأخطار الأجنبي، و كذا دعم جهود السلطة المركزية في صون الحدود و الدفاع عن البلاد و العباد.

و قبائل صنهاجة السراير تنتمي الى المجموعة القبلية الكبرى "شعب صنهاجة البرانس"، وهي قبيلة كبيرة استقرت بالريف الأوسط شمال المغرب ، و توجد حاليا بالجهة الغربية لإقليم الحسيمة، مكونة من جماعات دائرتا تاركيست و كتامة(1) ، وهي: آيت مزدوي، تاركيست ، زرقت، آيت بشير، آيت بونصر، آيت احمد، تاغزوت، آيت بوشيت، آيت خنوس، آيت سداث، إكوتامن(كتامة).

لا تعتبر قبائل صنهاجة السراير وحدة متجانسة و إن كانت ذات أصول صنهاجية ، إذ أن بعض القبائل معربة كليا كتاركيست ، و أخرى لا زالت تحتفظ بالأمازيغية لغة الخطاب كبني مزدوي، في حين أن قبائل أخرى تزواج بين الداريجة و الأمازيغية. كما نجد في القبيلة الواحدة كل مدشر أصله مختلف عن الآخر، بل إن عددا من المداشر غير متجانسة ساليا و لسانيا.

## 1- جوانب من التاريخ السياسي للمنطقة

تعتبر المنطقة و منذ القديم جزءا لا يتجزأ من موطن السكان الأصليين، و بالخصوص الفرع الصنهاجي منهم، لأن "شعب صنهاجة بنو صالح بن برنس أبي البربر شغلوا جميع تراب المغرب تقريبا، و في المنطقة الشمالية فإنهم شغلوا الناحية الواقعة بين نهر كرط و بلاد غمارة و البحر المتوسط"(2).

و بعد دخول العنصر العربي إلى المغرب، فإن المنطقة أصبحت تابعة للنكور، حيث نزل بها الحميريون و أسسوا إمارتهم سنة 80 هجرية(3)، و مدوا نفوذهم إلى كل الريف تقريبا، إذ أن البكري كتب: " بلد النكور وحده...ينتهي من جانب الغرب إلى قبيل من غمارة يعرفون ببني مروان و بني حميد... و إلى مسطاسة و صنهاجة (4).

أما خلال القرن الثالث الهجري، فإن المنطقة أضحت تابعة لإمارة بادس حيث أسس بها عمر بن إدريس دولته التي امتد نفوذها إلى كل صنهاجة(5)، و يعني ذلك أن المنطقة قد خضعت للأدارة أثناء تأسيسهم لإمارتهم الثانية بالريف التي استمرت إلى غاية مجيء يوسف بن تاشفين، الذي وجه وجهته نحو بلاد الريف سنة 473 هجرية حيث فتحها جمعاء(6).

و نظرا للتحركات الإيبيرية بالسواحل الشمالية، فإن الوطاسيين و بعدهم السعديين قد اهتموا بهذه المنطقة و الوقوف في وجه الأطماع الاستعمارية، و ذلك بتجميع المجاهدين و مدهم بالعتاد. و ما زالت بقايا لبعض القصبات في المنطقة كالتنجة توجد فوق قمة جبل أزغار شمال دواير مسعدية و إزمورن تعود تاريخها للعهد المريني، و ثانياة توجد بجانب دوار إهارونن شمال غرب تاركيست يعود تاريخها للعهد السعدي.

## 2- التدخل الاستعماري و المقاومة

### الشعبية

تعتبر القبيلة محور الأنشطة السياسية و الاقتصادية و العسكرية و الدينية و العلمية، و في حال وجود زاويا بالقبيلة، فإن هذه الأنشطة تصبح من اهتمام الزاوية و الموجهة لها، و بما أن الزاوية الخمليشية كزاوية صنهاجية بحتة بدأت تتلمس طريق النمو مع بداية القرن 18 بمدشر "إمسذ" بقبيلة بني بشير بزعامة مؤسسها سيدي يحيى بن أحمد بن عبدالرحمن بن يحيى أخمليش الصنهاجي(7) المتوفى سنة 1136 هجرية (1723م)، قد وجهت الحياة العامة بصنهاجة السراير و باقي القبائل المتاخمة لها، و تفاعلت مع الظروف العامة التي كان يمر بها المغرب، خاصة ما يتعلق بالمشاركة في صد أي عدوان إيبيري، و بذلك اهتمت بالجانب العسكري، حيث كانت الزوايا الكبرى بكل من بني بونصار و بني سدرات، تقوم بتدريب البالغين على المصارعة و فن الرماية و إصابة الهدف(8)، و ذلك بقصد تكوين فرق عسكرية استعدادا للمشاركة في صد الأعداء الأجانب، و تماشيا مع هذا الهدف كتب السلطان عبدالرحمن بن هشام الى الشيخ محمد خمليش في 27 محرم 1261 هـ الموافق ل 1841 م يطلعه على الحالة العامة التي تعيشها البلاد نظرا لوجود الحاج عبدالقادر الجزائري، إذ أصبحت فرنسا تتحرش بالمغرب الشرقي بدعوى ملاحقة الأمير عبدالقادر، لذلك فإن السلطان يحث الشيخ على الاستعداد للحرب، و هذا ما يتضح كذلك من رسالة وجيزة من السلطان الى الشيخ محمد خمليش جاء فيها "...و بعد فبوصول كتابنا هذا إليك أشع في جميع أسواق صنهاجة النداء بالحركة و أمرهم بأخذ الأهبة و الاستعداد بما قرب إن شاء الله و السلام في 3 فعدة عام 1264 هـ " (1844م)، و هذا ما كانت تتداوله الرواية الشفوية عن مشاركة سكان صنهاجة في حرب إيسلي عام 1844.

من نشاط الإسبان التوسعي و ذلك من سنة 1909 إلى سنة 1912.

و في هذا السياق ، حري بالذكر أن صنهاجة السراير لم تتأخر قط عن الانخراط في الحرب ضد المستعمر الإسباني بشرق الريف، تحت تأثيرات و تحفيزات الزعيم الروحي الصنهاجي الشريف أخمليش الذي لم تتوقف تحريضاته ... على الجهاد ضد المسيحيين(14)، و قد نجح القائد الديني محمد أخمليش زعيم صنهاجة في تجنيد قوات جديدة من صنهاجة انضافت للمجاهدين بالريف الشرقي ، و قادها في عدة معارك ضد الإسبان، كمعركة تالوسيت بتاريخ 20 شتنبر 1911، حيث "...تقدمت محلة الجبال النائية تحت رئاسة الزعيم أخمليش، و اخترقوا الحدود الإصنيولية ببسالة زائدة.."(15). كما شارك فرسان و مشاة صنهاجة في معارك 7 أكتوبر 1911 بقيادة الشريف أخمليش الذي تمركز في بوعران غرب كرت على رأس القسم الثالث من الحركة ، فتم تطويق القوات الإسبانية التي كان يقودها الجنرال "أوروثكو" و العقيد "بريمو دي ريفيرا"، و الحقوا بالإسبان هزائم نكراء، كما جرح العقيد "دي ريفيرا"(16).

و للتاريخ أيضا ، فإن صنهاجة السراير لم تتأخر أبدا عن التفاعل في الأحداث التي شهدتها الريف ، و هكذا فإن عبدالمالك الجزائري الذي كان يقود الحركة الريفية المناوئة لفرنسا لما أدرك قرب نهاية الحرب العالمية الأولى فضل الانسحاب من مركزه العام بالكيفان بقبيلة كزناية و التوجه نحو تطوان تفاديا للوقوع أسيرا لدى الفرنسيين، و لدى وصوله لقبيلة زرقت تعرض لمضايقات بعض ساكنتها، فاحتفى بالسيد محمد أخمليش بعدما ظل محاصرا بالمكان المسمى مولاي مفتاح، و من هناك تم خفره بأمان الى تطوان. و لم تمر إلا مدة قصيرة حتى حلت قوة من بني ورياغل لتأديب زرقت على فعلتها مع عبدالمالك، لكن تدخل الشريف محمد أخمليش حال دون نشوب أي نزاع (17).

أما بخصوص حرب تطوان عام 1859 - 1860م، فإن الرسالة الموجهة من السلطان محمد بن عبدالرحمن الى الشيخ محمد خمليش نستنتج منها أن الشيخ محمد قد طلب من السلطان توفير بعض اللوازم (9) مقابل مشاركته و جماعة من مجاهدي صنهاجة في حرب تطوان، غير أن قيام صراع بين قبيلتي مرنيسة و ورغة قد جعل الشيخ محمد يسعى لاقرار الصلح بين القبيلتين لتساهما بدورهما في محاربة "العدو الكافر"، و هو الأمر الذي أخر الشيخ عن الحضور الى تطوان في الوقت المناسب.

و خلال ثورة الجيلالي الزهوني الملقب بوحمارة (1902 - 1909) فإن مكانتهم ازدادت أهمية من خلال موقفهم المساعد للسلطة المركزية، الشيء الذي مكنتهم من توسيع نفوذهم السياسي و شرعنته، إذ اعتبرهم المخزن القادة الحقيقيون لصنهاجة السراير(10) ، و خولهم مهمة تعيين المقدمين في كل أنحاء المنطقة، بل عمد إلى تعيين محمد الكبير أخمليش قائدا على قبائل كتامة، تاغزوت، بني بوشيت، بني أحمد، بني بشير، بني بونصار، بني خنوس، بني سادات و زرقت(11).

و تزامنا مع حركة التمرد الفاشل التي قادها بوحمارة، فقد حصلت إسبانيا على مباركة كل من إنجلترا و فرنسا لاستغلال الشمال المغربي، و ذلك في إطار التقسيم الامبريالي للمغرب. و لهذا الهدف فقد أشار البند العادي الثامن و البند السري الثاني من معاهدتهما المؤرخة ب 8 أبريل 1904 إلى أحقية إسبانيا في التدخل و استغلال هذه المنطقة(12).

و قد وجدت إسبانيا في العمليات المسلحة التي قام بها سكان قبيلة قلعية ضد "مصلحتها" مبررا للتدخل العسكري المباشر في الريف ، حيث أنزلت 40000 جندي (13) بضواحي مليلية، و بدأت في التوسع. إلا أن استنفار القائد أمزيان للسكان قد حد

إضافة إلى مشاركتهم في معارك جبهة بني زروال و مرنيسة ضد الفرنسيين.

و قد عين ابن عبدالكريم مجموعة من القادة الصنهاجيين للإشراف على تنظيم المجاهدين و قيادة معارك ضد الإسبان و الفرنسيين، كما عمل على إدخال الإدارة للمنطقة لتسيير جميع شؤونها، فتم إنشاء مقر للمحكمة الشرعية بالمكان المسمى بـ "تشايف" بتراب قبيلة تاركيست التي عهد لها النظر في شؤون قبائل صنهاجة السراير إضافة إلى قبيلة مرنيسة و قبيلة بني عمارت، و الجزء الغربي من قبيلة كزناية (21). و خلال زيارته لمقر محكمة تاركيست التي كان يسير شؤونها القائد عمر بن علوش الورياغلي(22)، نصب المجاهد محمد بن عبدالكريم الخطابي عمر ولد حميدو قائدا على قبيلة مرنيسة، و القائد السي محمد كويس قائدا على قبيلة ززقت، و القائد أحمد الكتامي على قبيلة كتامة، و أصدر أمره بتعيين من يصلح قائدا على قبيلتي بني بشير و بني أحمد و غيرهما(23)، فتم تعيين القائد حمادي بن الحاج سعيد على محكمة تبرانث الذي تم تغييره لسوء التدبير و البقضة بعد قيام الحرب مع الفرنسيين(24).

و على الجبهة الجنوبية الغربية لقبائل صنهاجة السراير، كانت الآلة الاستعمارية الفرنسية تتلمس طريقها للتوسع في قبائل مرنيسة و بني زروال ، و كانت المقاومة الشعبية شرسة، كان للصنهاجيين فيها حضورا وازنا، و في هذا السياق ، و اعتمادا على الحلقة 64 من سلسلة الأستاذ العمراوي المشار إليها سابقا، فإن أحمد بن محمد بن محمد الصديق و ابن عمه محمد بن علي السليطن كانا يتزعمان المجاهدين في الهجومات على مراكز العدو الفرنسي، كالهجوم على مركز مرنيسة، و جبل الكيل إذ غنموا سنة 1918 م مدفعا و عدة رشاشات و بنادق، و هذا ما تؤكدُه أيضا الباحثة زكية داود التي أوردت في كتابها عن حرب الريف أن ابن عبدالكريم استكمل عتاده بمدفع و 300 قديفة و بندقيتين رشاشتين بعثتها له عائلة الخمليشي ، و كانت هذه الأسلحة قد غنمت من الفرنسيين بعين مديونة سنة 1918 (18)... غير أن الحاج صديق بن محمد بن محمد الصديق أكد لي خلال لقاء بمنزله بمدينة طنجة أوائل سنة 1992م أن المجاهدين غنموا من الفرنسيين مدفعين إثنيين، وقد سلمهما أبوه محمد بن محمد الصديق مع أسلحة أخرى فيما بعد إلى وفد محمد بن عبدالكريم الخطابي الذي قدم الى زاوية بوغليب بزرت للتزود بالذخيرة مع بداية الحركة الجهادية ضد الإسبان.



صورة للمحكمة الشرعية التي أنشأها محمد بن عبد الكريم الخطابي بتراركيست

إذن عرفت مجريات الأحداث تحولات جذرية سنة 1921 كان من ورائها بروز شخصية محمد بن عبدالكريم الخطابي كقائد للكفاح ضد المستعمر، إذ طالب كل الريفيين بوضع الخلافات و الصراعات القبلية جانبا، و تصويب فوهات بنادقهم نحو العدو الإسباني عوض تصويبها نحو أشقائهم. و كان لقبائل صنهاجة بقيادة محمد اخمليش زعيم زاوية بوغليب حضور وازن في الظروف المستجدة(19)، و لم يقتصر الأمر عن تزويد الحركة الجهادية بالسلاح فقط، بل شاركت أعداد من متطوعي صنهاجة في أولى المعارك ضد الإسبان(20)، إذ ما زال المستون من الأهالي يروون جوانب من معركتي "دهار أبران" و "أنوال"، و الجبهة الغربية. حيث تم إلحاق الهزائم بالجيش الإسباني،

بإلقاء القبض على عدد منهم ، توجه كويس فارا نحو ناحية فاس(30).

## عزف اللحن الفرنسي "إلى الميادين" بتاركيست، و استسلام ابن عبدالكريم:

بعد ما عرقلت كل من فرنسا و إسبانيا مباحثات وجدة(31)، بدأت الهجمات المكثفة جواً و بحراً و براً على معقل الخطابي بأجدير(32)، كما لم يستثن القصف كل المواقع التي كانت ذات اهمية في استراتيجية الخطابي منها تاركيست و بني عمارت، و هكذا وجد الخطابي نفسه مضطراً للقيام بتنقلات كثيرة جرت في آخر المطاف لقيادة العمليات المسلحة ضد القوات الفرنسية بتاركيست (33) التي تقدمت إليها القوات الغازية تتبع أثره ، فإسبانيا دخلت من ناحية الشمال، أما فرنسا فافتحمت المنطقة انطلاقاً من بني عمارت مروراً ببني مزدوي. و إذا كان الطيران الحربي الاسباني و الفرنسي قد مهد عملية اكتساح تاركيست(34)، و استهدف الأسواق الأسبوعية و التجمعات السكنية و قصفها بالأسلحة الكيماوية و القنابل الحارقة، و هكذا على سبيل المثال لا الحصر تعرض سوق السبت الواقع على إحدى ضفتي واد السبت جنوب شرق تاركيست لغارات نتج عنها استشهاد العشرات من مرتادي السوق ... (35)، و كما يشير تقرير مؤرخ ب 15 مارس 1926 من الكولونيل "هيو HUOT" قائد منطقة تازة الى القيادة العليا للقوات الفرنسية بالرباط جواباً على طلبها في شأن تحديد الأهداف المفيدة للقصف بالطيران بمنطقة صنهاجة السراير، فإن "هيو" حدد من بين الأهداف ما يلي: سوق الأربعاء بدوار إمكرن بقبيلة بني أحمد ، مقترحاً بأن يقصف على الساعة 11 صباحاً و هي ساعة الذروة بالسوق ، ثم سوق الأحد بقبيلة زرقت ، و كذا سوق الإثنين بأولاد الوريط بقبيلة تاغزوت(36)، و كلها قبائل من صنهاجة السراير، و هذا لا يدع مجالاً للشك بأن المنطقة تعرضت لقصف رهيب تزامن مع عملية الاكتساح البري التي

و بعد أن عين الخطابي القائد احمد التيزوگرتي على قبيلة بني زروال بطلب من إخوانه، لم يستغ الشريف عبدالرحمن الدرقاوي هذا الأمر، فألب عليه أهل قبيلته الذين نهبوا و أحرقوا منزل التيزوگرتي ، و فر هذا الأخير الى محكمة تاركيست مشتكياً لقائدها عمر بن علوش، وعظم الخطب على أهل زاوية الخمالشة و قرروا الانتقام من الدرقاوي و رد الاعتبار للتيزوگرتي بعد أخذ الإذن من الخطابي (25).

و تطورت الأحداث، فقامت القوات الفرنسية بالتوغل ما بعد الحدود الواقعة بين صنهاجة السراير و مثوية، لذلك أمر الخطابي بربط محكمة تيرانت بالهاتف، و كلف القائد علوش الشدي الوريغلي بالمرابطة رفقة 500 مجاهد على تلك الحدود(26)، و تزويده ب 500 بندقية موسر mauser التي تم نقلها من خطوط الجبهة الشرقية من الريف لتعزيز تسليح تلك المنطقة، و ما لبث أن انتقل الخطابي بنفسه إلى محكمة تاركيست للوقوف عن كشب على مجريات الأحداث(27) .

و كانت قبيلة بني زروال قد نكثت العهد و بدأت تتعامل مع الفرنسيين ضد الثورة ، فتوجه امحمد الخطابي أخ محمد الخطابي زعيم الجهاد إلى محكمة تاركيست لجمع المجاهدين قصد تأديب أعيان قبيلة بني زروال ، فكلف القائد محمد كويس الزرقتي برئاسة الجموع بمساعده القائد السي مسعود التيكارتي و القائد محمد عقا الكميلي(28)، غير أن سوء تدبيره و تراخيه في القيام بالمهمة ضد بني زروال جعل الخطابي يأمر بسجنه رفقة مساعده السي مسعود التيكارتي. ففر كويس إلى قبيلته زرقت ، و شرع في الدعوة ضد الثورة، و تدخلت المخابرات الاسبانية سريعاً على الخط فأجزلت في العطاء على ضعاف النفوس، و تم الترتيب للهجوم على محكمة تاركيست. و للتشويش على الثورة شرع كويس في تخريب أسلاك الهاتف الرابطة بين محكمة تاركيست و محكمة كتامة(29)، لكن بعد انهيار حلف الخونة





استسلام محمد بن عبد الكريم الخطابي للفرنسيين بتاركيست في 26 ماي 1926

و بعد ترتيبات تلت لحظة الاستسلام بوقت قصير توجه رتل و فرقان من الكوم بقيادة "شميت" و "بورنازيل" (41) إلى دوار كمون ببني حذيفة لاستقدام عائلة محمد بن عبد الكريم و ممتلكاته التي تمت مصادرتها فيما بعد عقابا له . و على الساعة العاشرة صباحا تم احتجاز المجاهد بمقر محكمته السابقة مدة يومين، كما تم حجز و فرز أرشيفاته. و على عجل وصل إلى "تشايف" بتاركيست أكثر من 15000 شخص بما خف من أمتعتهم طالبين الحماية الفرنسية ضد الاسبان (42). كما وصل لنفس المكان أيضا الأسرى الفرنسيون و الإسبان بمعية الضابط الفرنسي "كو" و حدو (43) بن حمو البقيوي أحد مساعدي الخطابي، و كانت هذه آخر مهمة يقوم بها حمو قبل أن يؤسر و ينفي بعيدا عن الريف كباقي قادة الحرب التحريرية (44).



الخطابي بتاركيست رفقة الضباط الفرنسيين الذين أشرفوا على استسلامه و نقله نحو تازة يوم 29 ماي 1926

تمت بصعوبة تامة نتيجة صمود جيش الثوار، حيث دارت معارك عنيفة بين الطرفين.

و في 20 ماي زحفت ثلاثة طوابير قوامها 5000 رجل من بينها الفرقة المغربية الحادية عشر في الجيش الفرنسي نحو تاركيست بقيادة العقيد "كوراب" الذي خاض معارك ضارية ضد جموع من المجاهدين، و في ليلة 23 ماي خاض عبد الكريم أمام مقر قيادته العامة ب "تشايف" - التي أخلاها تاركا أرشيفاته و أسلحته عرضة للحجز - معركته الأخيرة على رأس 150 من مقاتليه المخلصين ضد النقيب "شميت" الذي كان يتعقب أثره (37)، فاحتل تاركيست ، و فر ابن عبد الكريم إلى مكان قريب منها، قام الفرنسيون بقصفه (38) .

و نتيجة للحصار الجائر الذي أصبح مفروضا على المنطقة ككل، و الزحف المتواصل للاستعماريين نحو تاركيست ، فضل القائد البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي تسليم نفسه و عائلته للفرنسيين، و ذلك تنفيذا للاتفاق الذي أبرمه بتاريخ 25 ماي 1926 مع ضباط فرنسيين : النقيب "سوفرين" و الملازمين الأولين "مونطاني" و "دولا روزير" بالزاوية الوزانية بسنادة (39). و هكذا و بعد هدوء حذر للقصف ، و على الساعة الخامسة و الربع من صباح يوم 27 ماي 1926، و بعد أن انتظمت بمحيط المحكمة الشرعية ب "تشايف" بتاركيست تشكيلات من القوات الفرنسية: فيالقة و سينغاليون و كوم، بحضور النقيب "شميت" و "بورنازيل" و مسؤولا القيادة العامة "كوراب" و الجنرال "إيوس"، مر عبد الكريم أمام المفزة و صوت النفير يردد اللحن العسكري الفرنسي "إلى الميادين"، ثم ترحل من على جواده و توجه نحو "كوراب" و "إيوس" قائلا "أسلم نفسي و ما أملك لفرنسا" (40).

## الانكسار المتوالي للإسبان ثمن انتصارهم المؤقت

كانت القوات الإسبانية تسابق الزمن للوصول إلى تاركيست - الملاذ الأخير لابن عبد الكريم- و إلقاء القبض عليه استرجاعا لكبرياء المؤسسة العسكرية الإسبانية الممرغة تباعا في وحل الهزائم بالريف ، و في ليلة اليوم الموالي لاستسلام ابن عبد الكريم للفرنسيين ، كان رتل إسباني يتكون من 800 جندي و ضابط يسارع للوصول إلى تاركيست ، و غير بعيد عنها تم تطويقه و إبادته على حافات واد غيس من طرف مجموعة من المجاهدين الذين لم تهدم فجيرة استسلام محمد بن عبدالكريم الخطابي(45).

و بتاريخ 29 ماي 1926 انصرف الفرنسيون من تاركيست ، تاركين مصيرها للإسبان المتعجرفين الذين بدا لهم أنهم أخيرا سيطروا على مقر قيادة خصمهم ، و بعثوا الى الشريف محمد الخمليشي زعيم الزاوية الخمليشية ببوغيلب طالبين التعاون معهم مثلما سبق أن طالبه الفرنسيون ، فيما أمر القبطان الاسباني "ستيوارت" من ابن الشريف أن يكتب حالا إلى الكومندان "لكباس" يعلمه فيها باستسلامه و كافة القبائل الصنهاجية و ما سواها التابعة لنفوذ الزاوية(46). فتم حجز 30000 بندقية في عملية تجريد المجاهدين بل و كل الساكنة من السلاح في ظروف القهر و التعسف و التهريب، وحسب تقرير القنصل الألماني بتطوان فإنه إلى حدود شهر أكتوبر 1926 فقد تمكنت القوات الإسبانية من إخضاع 55 قبيلة بالريف، فيما 11 قبيلة - منها جل قبائل صنهاجة السراير- تمسكت بمواصلة الكفاح ، و اختارت اسبانيا الحرب القدرة للقضاء على "المتمردين"، حيث واصلت استعمال الغازات الكيماوية بكثافة خاصة غاز"الاكسول" و غاز "الفوسجين" (47) ضد تلك القبائل لإرغامها على الاستسلام، غير مكتفية بتدمير القرى و التجمعات السكنية، بل مارست

عمليات التقتيل الجماعي التي تمثل إبادة شاملة للسكان(48) التي يعاقب عليها القانون الدولي بمختلف تصنيفاته.

و في هذا السياق كتب الباحث الإسباني "ميكيل مارتين" : "في الخريف جرت مناورات عسكرية هامة [عمليات ] بوليسية حسب اللغة الاصطلاحية الاستعمارية ل " خمينيس دي أسوا"، تهدف إلى التأكد أنه بالإمكان نقل 25000 جندي، في وقت وجيز، إلى حيث تفرض الظروف، ذلك من أجل إبادة كل محاولة تمرد. و ذكر قائد قوات الاحتلال الجنرال "كَبَانْيَاس" أنه إلى حدود عهد قريب جداً كانت جميع القبائل في حالة تمرد صريح، و من ثم ما زال العديد من أنصار عبدالكريم...(49).

و رغم ذلك كابد المجاهدون في التصدي للغطسة و العدوان الإسباني، فخلال فاتح شوال من سنة 1345 هـ (أبريل 1927 م) جمع محمد بن علي الخمليشي سرية مسلحة من أهالي صنهاجة و هاجم مركز تاغزوت الإسباني، معترضا قوة الضابط "ويستريس" بمكان يدعى باب الصليب بين قبيلتي متيوة و بني بوشيت(50). و بنفس الجرأة و اللإقدام خاض المجاهدون بقبيلة بني أحمد في شهر أبريل 1927 أيضا معركة شرسة ضد كتبية إسبانية (51) فقضوا عليها و بقيت جثث القتلى فوق الثلوج عرضة للكواسر و الوحوش.

و لأجل القضاء على جيوب المقاومة بقبائل صنهاجة السراير، و في خطوة محفوفة بالمغامرة، شكل ضابط إسباني شاب كتبية من المجندين "الورياغليين"؛ و حسب الرواية الشفوية فإن أفرادها كانوا يطلقون النار على المجاهدين الصنهاجيين - رفاق الأوس - ويكون(52).

و لم تمر إلا ثلاثة أشهر عن هذه المعارك الجريئة التي أكيد أن معارك مماثلة لها جرت ضد الإسبان باقي القبائل الإحدى عشر التي فضلت مواصلة الكفاح، حتى أعلن الجنرال سان خورخو

المراكز (55) المتاخمة للمنطقة من أجل توسيع رقعة العمليات العسكرية ضد الجيش الفرنسي .

و عرفت الأوضاع تطورات هامة بعد ذلك، و كان الوطنيون يسيطرون بشكل كامل على منطقة شمال المغرب: تجمعات سياسية، و تظاهرات و أغاني و رقصات و رايات و صور الأبطال الرئيسيين للمنظمة السرية ظهرت حتى في القبائل الأقل تسييسا، و وقعت حوادث مع جيوش الاحتلال (56) قبيل رحيلها.

### على سبيل الختم:

صنهاجة السراير سجلت دوما تفاعلها الإيجابي في التعامل مع أي خطر خارجي، كانت من القبائل السبابة لنصرة القبائل المستهدفة بالتدخل العسكري الإسباني و الفرنسي، و كان مجاهدوها من الطلائع الأولى في أولى المعارك (دهار أبران و أنوال...) التي خاضها المجاهدون بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي، لكنها لم تكن قط أولى القبائل المستسلمة بعد أن سلم نفسه للفرنسيين، بل واصلت الكفاح بكل ما أوتيت من قوة، متكبدة في صمت التقتيل الجماعي لأبنائها من قبل الإسبان، و مواجهة بصبر القصف الاستعماري بالغازات الكيميائية التي لا زالت لتاريخه تعاني من تبعاتها و مخاطرها...و تعاني أيضا من الصمت المهول في التعريف بتاريخها النضالي المجيد، و تتفاقم محتنتها جراء التدمير الذي طال و يطال معالمها الأثرية،،،فهل من صحوه تعيد لصنهاجة و حاضرتها تاركيست فصول ماضيها ليستمر مشعا وهاجا تتناقله الأجيال ، و تنهل منه ليكون إحدى رافعات النهوض بالمنطقة و تحقيق التنمية المنشودة بها، هذه دعوة،فهل من مجيب...

في 10 يوليوز 1927 "القضاء على التمرد"، و نهاية المعارك و "نشر ألوية السلام بالمنطقة" (53).



صورة لمعسكر الإسبان بتاركيست بعد استعمارها

### السكون الذي يسبق العاصفة :

و إن سيطرت إسبانيا في شهر يوليوز 1927 على الريف ككل، فإن حوادث منفردة أسفرت عن سقوط أفراد جيشها الذي لم يهنأ له بال ، و لم يتعايش السكان مع الإدارة المستعمرة التي كثفت من مظاهر استغلال المنطقة مخلفة استنكارا شعبيا . هذا الاستنكار و إن دام بشكل انفرادي و خفي ، فإنه سرعان ما تم التعبير عنه جهارا حينما سنحت الظروف و تطورت . و يعتبر يوم 6 مارس من سنة 1955 الذي عمت خلاله مظاهرة في تاركيست (54) مثالا فقط عن ذلك ، و هو الحدث الذي نستشف من خلاله مدى التنسيق الذي كان قائما بين فروع الحركة الوطنية في مدن الشمال، بحيث جرت عدة تظاهرات وطنية في نفس اليوم بكل من الناظور، الشاون، و تطوان سقط على إثرها عدد من القتلى، بالإضافة إلى الجرحى و المعتقلين.

و كان ذلك إيذانا بميلاد حركة جديدة بدأت تدب في المنطقة، حيث نشطت الاستعدادات الكاملة لانطلاق عمليات جيش التحرير بالشمال في فاتح أكتوبر 1955، و كانت قبائل صنهاجة السراير سبابة إلى تعزيز صفوفه بالرجال الأشداء، و فتح مراكز جديدة له فوق ترابها كإمائن بكنامة على الحدود مع بني زروال ، و تاوفاة بني بشير على الحدود مع مرنيسة ، ثم تموين





ملحق:

TRoupes d'Occupation  
DU MAROC

REGION DE TAZA

SERVICE  
DES  
RENSEIGNEMENTS

N° 1142 R.T.1

OBJET :  
Objectifs ennemis à  
bombarder

En exécution des prescriptions de votre  
Note N° 1284/2 du 29 Décembre 1925, j'ai l'hon-  
neur de vous signaler les points suivants qu'il  
serait utile de faire bombarder par l'Aviation :

1°.- SOUK-EL-ARBA, des BENI ARKED (SENHADJA  
DE SRAIR), marché du mercredi, se tient à IMOUG-  
ZEN, (carte provisoire au 1/100.000° du Riff Oc-  
cidental et des SENHADJA DE SRAIR) bat son plein  
à 11 heures.

2°.- SOUK-EL-HAD du ZERKAT (SENHADJA DE  
SRAIR), marché du dimanche, se tient à SOUK-EL-  
HAD GHOBAR (carte provisoire au 1/100.000° du  
Riff Occidental et des SENHADJA DE SRAIR).

3°.- SOUK EL THINE de TAGHEOUT (SENHADJA  
DE SRAIR) marché du lundi, se tient chez les  
OULED EL QUARTIT (TAGHEOUT - carte provisoire  
au 1/100.000° du Riff Occidental et des SENHADJA  
DE SRAIR).

\* الوثيقة رقم 32: تثبت ضخامة القصف الجوي الذي تعرضت له قبيلة صنهاجة  
السرائر.

\* المرجع:

AGV, SHAT; Carton 3H 445. Conditions de soumission; amende de guerre;  
bombardements de l'aviation: Personnages cités dans les rapports sur la propagande.



## المراجع:

- 1- باستثناء جماعتي بني عمارت و سيدي بوزينب التابعتان اداريا لدائرة تاركيست.
- 2- عبد الوهاب بن منصور: قبائل المغرب، ج 1، المطبعة الملكية، الرباط 1968، ص ص 328 و 329.
- 3- أحمد عبدالسلام البوعياشي: الريف بعد الفتح الإسلامي - ج 1 ، دار الطباعة المغربية، تطوان 1954، ص 16.
- 4- أبو عبيد البكري: المسالك و الممالك، طبعة الجزائر 1957، ص 90.
- 5- أحمد عبدالسلام البوعياشي: حرب الريف التحريرية و مراحل النضال، ج 1 ، مطبعة دار الأمل، طنجة ، دون تاريخ، ص ص 179 ، 191.
- 6- أحمد عبدالسلام البوعياشي: الريف بعد الفتح، م س، ص 33.
- 7- Paul Pascon et Herman Van der Westen "les Beni Boufrah" essai d'écologie sosiale d'une vallée rifaine. productions industrielles. Rabat. 1983. p70.
- 8- الأستاذ العمراوي، الحلقة 63 و 64 من السلسلة الإخبارية عن تاريخ الزاوية الخميليشية التي أذاعتها الإذاعة الجهوية بفاس في النصف الثاني من الثمانينيات.
- 9- تتمثل هذه الشروط في توفير بغلة مسرجة للشيخ محمد خمليش ،و خيمتين له و للمقربين منه، و 25 خيمة للمتطوعين الصنهاجيين، و تعيين قائد لهم...ثم طلب دواء لكونه كان يشكو من نزلات البرد، و كل هذه الشروط و غيرها موجودة بالرسالة التي وجهها الشيخ الى السلطان، و قد أدرجها الأستاذ العمراوي في الحلقتين الاخباريتين المشار اليها أعلاه، كما أدرج جواب السلطان على رسالة الشيخ محمد خمليش.
- 10- Revue de geographie du Maroc(RGM) ,N° 4,Rabat, 1968. Gerard Maurer , les paysans du haut Rif central, p 19.
- 11- Ibid، و لم يشر صاحب المقال بالتحديد الى الفترة التاريخية التي تم خلالها تعيين هذا القائد.
- 12- ألبير عياش: المغرب و الاستعمار - حصيلة السيطرة الفرنسية- ترجمة عبدالقادر الشاوي و نورالدين السعودي. دار الخطابية للطباعة و النشر، ط 1 ، أبريل 1985، ص ص 76، 77.
- 13- جرمان عياش: المغرب و الاستعمار - حصيلة السيطرة الفرنسية ، ترجمة عبدالقادر الشاوي و نورالدين سعودي، دار الخطابية للطباعة و النشر، الدار البيضاء، ط 1 ، 1985، ص ص 82.
- 14- رشيد يشوتي: اسبانيا و الريف و الشريف محمد امزيان 1909- 1912. مساهمة في العلاقات المغربية الاسبانية في بداية القرن العشرين، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة رابا نت ماروك. 2012. ص 242.
- 15- مقتطف من رسالة البشير بن السناح عامل المخزن على الريف الى النائب السلطاني بطنجة مؤرخة في 3 محرم 1330هـ، أوردها رشيد يشوتي في كتابه اسبانيا و الريف و الشريف محمد امزيان ، م س. ص ص 249 و 250.
- 16- اسبانيا و الريف و الشريف محمد امزيان ، م س ، ص ص 250 و 251.
- 17- محمد الرايس :شهادات عن المقاومة في عهد الزعيم محمد بن عبدالكريم الخطابي: اعداد و تقديم عبدالحميد الرايس، منشورات تيفراز الطبعة الاولى 2011 مطبعة دار النجاح الجديدة، ص ص 187 و 365.
- 18- زكية داود: عبدالكريم ملحمة الذهب و الدم، ترجمة محمد الشكري، منشورات وزارة الثقافة مطبعة دار المناهل 2007، ص 84.
- 19- أحمد سكيرج: الظل الوريث في محاربة الريف، دراسة و تحقيق رشيد يشوتي، منشورات المعهد الجامعي للبحث العلمي، مطبعة كوثر برانت، الرباط 2010، ص 212.
- 20- نفسه.
- 21- ن م ، ص 194.
- 22- ن م ، ص 211.
- 23- ن م ، ص 210.
- 24- ن م ، ص 213.
- 25- ن م ، ص 211.
- 26- ن م ص 240.
- 27- ن م ، ص 241.
- 28- ن م ، ص 233.
- 29- ن م ، ص 234.
- 30- ن م ، ص 236.
- 31- ن م ، ص 261 و 262.
- 32- ن م ، ص 264 و 265.



- 33- ن م ، ص 263.
- 34- تعرضت المنطقة لقصف جوي مكثف ، و بعض القنابل لم تنفجر و بقيت كذلك إلى أن تم تفجيرها من طرف الاختصاصيين المغاربة في السبعينيات.
- 35- شهادات عن المقاومة في عهد الزعيم محمد بن عبدالكريم الخطابي، م س، ص 365.
- 36- Archives de guerre vincennes.Paris (AGV ),SHAT;carton 3H 445
- 37- عبدالكريم ملحمة الذهب و الدم، م س ، ص 309.
- 38- رودبيرت كونز و رولف ديبتر مولر : حرب الغازات السامة بالغرب-عبدالكريم الخطابي في مواجهة السلاح الكيماوي: ، ترجمة عبدالعالي الأمراني منشورات فيديباك، الطبعة 1، مطبعة فيديبرانت، الرباط 1996. ص 165.
- 39- ن م ، ص 313.
- 40- ن م، ص 316.
- 41- إلا أن صاحب الظل الوريث يشير في الصفحة 269 إلى أن الكولونيل جيرو (Henri Giraud) هو من قدم من تاركيست إلى دوار كمون لمرافقة عائلة الخطابي نحو تاركيست.
- 42- حرب الغازات السامة بالغرب ، م س، ص 317.
- 43- ن م، ص 317.
- 44- الظل الوريث في محاربة الريف، م س ، ص 270.
- 45- ن م، ص 318.
- 46- شهادات عن المقاومة في عهد الزعيم محمد بن عبدالكريم الخطابي، م س . ص 383.
- 47- حرب الغازات السامة بالغرب . م س، ص 166.
- 48- ن م ، ص 167.
- 49- ميكيل مارتين: الاستعمار الاسباني في المغرب 1860 – 1956، ترجمة عبدالعزيز الودي، منشورات التل، الرباط، ط 1 ، 1981، ص 96. قمت بوضع السطر تحت العبارة للتشديد.
- 50- عبدالإله الشخي: دراسة و تحقيق لأساء المواقع الجغرافية – نموذج تاركيست- بحث لنيل الإجازة في التاريخ، إشراف الأستاذ أحمد البوزيدي، السنة الجامعية 1991-1992، كلية الآداب و العلوم الانسانية بظهر المهراف بفس، ص 63.
- 51- محمد أمزيان: طريق الكيف، مقال منشور على الموقع الرسمي لراديو هولندا – هنا أمستردام- ، و هذا رابطته <http://www.rnw.nl/arabic/article/8355>
- 52- ن م .
- 53- حرب الغازات السامة بالغرب . م س، ص 167.
- 54- الاستعمار الاسباني في المغرب 1860 – 1956، م س ، ص 200.
- 55- للاطلاع أكثر على مساهمة المنطقة في عمليات جيش التحرير يرجى العودة لكتاب عبدالرحمن عبدالله الصنهاجي "مذكرات في تاريخ حركة المقاومة و جيش التحرير المغربي"، الطبعة الأولى 1407 هـ 1987/1986 م ، ثم كتاب محمد حمو الإدريسي "الحركة الوطنية في الشمال و دورها في استقلال المغرب و الجزائر"، مطابع البوغاز، طنجة، الطبعة الأولى، 1411 هـ – 1990 م.
- 56- الاستعمار الاسباني في المغرب 1860 – 1956، م س ، ص 201. و قد ارتأينا وضع الخط تحت العبارة للتأكيد على أن قبائل صنهاجة السراير و حاضرتها تاركيست لم تكن في منأى عن مجريات الأحداث.